

البعء الفلسفي في شعر القطامي^(١)

د. نزيه كسيبي

يشاء بعض الكتاب قديماً وحديثاً في القدرة على المزج بين الوظيفة الأخلاقية والعملية الشعرية ، فالفلسفة والشعر - برأيهم - لا يلتقيان . ويزدري بعضهم كل شعر تعليمي أخلاقي ، ويلاحظون أن هذا النوع ليس له من النظم الشعري إلا الوزن . وقد نبه ت . س . اليوت الى هذا الازدراء في قوله : « يرتاب الناس من كل شعر يقترح غاية معينة : كالشعر الذي ينادي فيه صاحبه بالنظرات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والدينية » (٢) .

وقد استطاع الشعراء العرب الجاهليون والاسلاميون المزج بين العملية الشعرية والفلسفية من خلال ما يسمى بالأبيات السائرة والمأثورة أو ما يسمى بشعر الأمثال . مما لا شك فيه أن هذا الضرب من الشعر ليس نظرية وصفية منطقية معقدة لها فرضياتها ونتائجها : فلم يتناوله شعراء العصرين الجاهلي والأموي تناولاً مفصلاً ، كما نجد ذلك في كتب الفلسفة الاغريقية والعربية . ولم يأخذ أبعاد شعر الفلاسفة العرب والمسلمين في أواخر العصور العباسية في بلاد الشام أمثال أبي العلاء المعري (٣) أو في بلاد الفرس أمثال الغيام .

فالفلسفة التي أخذت شكل المثل في الشعر الجاهلي والأموي كانت تكشفاً لتجاربهم الخاصة وذات بعد ديني (الديانات السماوية الثلاث) (٤) وأخلاقي أيضاً .

وإذا كان بعض الكتاب لا يجد في الأمثال العربية عمقاً ولا أهمية شعرية (٥) فتبقى - في رأينا - فناً شعرياً يعبر عن أفكار الشاعر في صدد حادثة طارئة خاصة أو عن تأمله الفلسفي في الحياة العامة . فالأمثال نشرها وشعرها تفسر لنا مشاغل الشعوب وحياتهم

الذهنية والمعاشية واليومية ، فهي بلا شك عصارة « حكمة الأمم » ، ويأخذ بعضها بعداً عالمياً لخطورتها وعظيم شأنها ، وأصبح الغرب يهتم بها كثيراً وتعطى الشهادات العالية في سبيل دراستها دراسة وصفية ومقارنة . وقد فطن الكتاب العرب منذ القديم الى أهميتها فجمعوا كثيراً منها وأفردوها في مؤلفات كمجمع الأمثال للميداني وغيره ، حتى قالوا فيها « انه لم يسر شيء مسيرها ولا عمومها حتى قيل أسير من مثل » (٦) ، وبما أن الحكمة عنصر مهم في الشعر ، فقد صيغ المثل به « ليكون اشرد له وأخف للنطق به » (٧) .

وقد أضحى الشعر الحكمي عند الشعراء العرب ومن ضمنهم القطامي فناً للحياة ، وسيظل كما هو شأنه لدى شعراء الشعوب الأخرى مثالا رائعا للشعر التعليمي الأخلاقي دون أن تحط الغائية من قدره (٨) .

□ توزيع الأبيات الحكمية وثقافة القطامي :

يصف يحيى بن علي التبريزي (بكسر التاء) (٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م) الشاعر القطامي بأنه « كثير الأمثال » (٩) . وقد تبين لنا - بعد الرجوع الى ديوانه (١٠) - أنه لم يصلنا منها سوى خمسين بيتاً تقريباً ، متفرقة في قصائده ، بعضها في أوائلها وقسم آخر في وسطها أو أواخرها . فليس هناك قاعدة ثابتة في ظهور المثل في القصيدة ، وهكذا نجد في القصيدة ذاتها ، شأن القصيدة العربية في تلك الفترة ، النسيب والحكمة والهجاء والمديح ، والاشارات التاريخية والاجتماعية متمزجة . وتكمن فنية القطامي في قدرته على اعطاء الشعر وظيفة أخلاقية صيغت في قالب شعري جذاب مناسب للموضوع الذي يطرحه . لقد انطبعت الوظيفة الأخلاقية في شعره بثقافة دينية وتاريخية وبتجربته الخاصة .

أما التأثير الديني فقد كان واضحاً في شعره وفي شتى أغراضه ، فأفاد من الديانة النصرانية (الكتاب المقدس - العهد القديم والجديد) لأنه كان مسيحياً شأنه في ذلك شأن كثير من المتغلبين في العهد الأموي ، ومن الديانة الاسلامية لأنه دان بالدين الجديد فيما بعد (١١) . ففي الاطار الحكمي الديني يوثق القطامي ما يرمي اليه بأمثلة مستقاة من التوراة (١٢) ومن القرآن (١٣) كقصة الطوفان في عهد نوح ، ليذكر الناس بأن الموت يصيب كل انسان وفي كل زمان ومكان :

وأنذركم مصائر قوم نوح وكانت أمة فيها انتشار (١٤)

ويشير الى قصة غرق الفراعنة بعد مطاردة موسى ، في نصحه الناس بالتخلي عن النزاعات والاختلافات والفتن ، ويذكر بأقول الأمم الغابرة :

وشق البحر عن أصحاب موسى	وغرقت الفراعنة الكفار
فكم من مدة سبقت لقوم	زماناً ثم يلحقها ابتار
فيا قومي هلم الى جميع	وفيما قد مضى لكم اعتبار (١٥)

ويأتي الشاعر بهذه النصائح المستوحاة من الديانات السماوية دون أن يشير بالضبط الى مصدره لأنها كانت معروفة لدى الجميع، ثم هل مهمة الشاعر الحديث بمصادره؟! فهو يتجاوز ذلك في حكمته ولا يتكلم على القصص القديمة ليدعو الى دين أو ليرهب الناس من العذاب أو ليرغبهم في الجنة ، فليس ما يسرده من نصائح ذات الأبعاد الدينية ناجماً عن خوف وضعف أو رغبة وطمع بل يعدها طريق الحكمة ويعتمدها على أنها سبيل الخلاص ، انها دعوة للحياة ويختارها الشاعر لقناعته بها :

فهذا فيه موعظة وحكم ولكني امرؤ في افتخار (١٦)

وتستحوذ فكرة النفور من الحرب وتحقيق السلام ، فاذا به يستخدم جميع الوسائل لايقاف الحروب القائمة قرب نهر الخابور بين بني تغلب وقيس ، فلم يعد المديح في سبيل الحصول على العطايا ولم يعد الغزل في وصف جمال المرأة بل أضحي الغزل « مسيساً » أو سياسياً ان صح التعبير . ولم تعد الحكمة في القول بل أضحت عنده عملاً وسلوك حياة .

ففي مديحه همام بن مطرف التغلبي ، أحد أغربة العرب (١٧) في العصر الاسلامي ، يشير الى صنيعة في اقامة الصلح بين بكر وتغلب :

بنى بين حيي وأئل بصنيعة فلا تغلب لامت أخاها ولا بكر (١٨)

ومع أن القطامي شاعر ومعارب فانه يهجو الأخطل لكونه السبب في اشعال الحرب بين قيس وتغلب يوم البشير أو ما يسمى بيوم الرحوب (سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م) (١٩) .

وقبل أن يبدأ بمديح زفر بن الحارث (٢٠) يخاطب ابنة الممدوح ضباعة بنوع من الغزل السياسي ذي الأهداف السلمية وبطريقة الفيلسوف الحكيم الذي يطمح الى اقامة السلم وطرح الحروب يقول :

قفي قبل التفرق يا ضباعا	ولا يك موقف منك الوداعا
قفي فادي أسيرك ان قومي	وقومك لا أرى لهم اجتماعا
ألم يعزنك أن حبال قيس	وتغلب قد تباينت انقطاعا
يطيعون الفؤاة وكان شراً	لمؤتمر الغواية (٢١) أن يطاعا
ألم يعزنك أن ابني نزار (٢٢)	أسالا من دمائهما التلعا (٢٣)

ان مثل هذه الشواهد التي سردناها وسنورد بعضاً منها فيما بعد ، ليست الا غيضاً من فيض على ميل القطامي نحو السلم ونفوره من الحرب على نحو يجعلنا نقول : اذا كان زهير بن أبي سلمى شاعر السلم في العصر الجاهلي فالقطامي هو شاعر السلم أيضاً في العصر الأموي .

أما عن ثقافة القطامي التاريخية ، فيلاحظ أن الشاعر كان مؤرخاً للحروب في عهده
وملماً بأخبار العرب في العصر الجاهلي ، وقد كان يفيد من هذه الثقافة ليؤيد فكرة ، ففي
حثة العرب على الاتفاق والاتحاد ، يلمح الى ما جرى مع الفرس :

ألم يغز التفرق جند كسرى وأجلوا عن مدائنهم قطاروا (٢٤)

وينوه القطامي أحياناً بأسماء المؤرخين والخباريين ليؤيد خطابيه الشعري ، فهو
يعتمد ، في اشارته الى عاد (٢٥) وجُرهم (٢٦) مثلاً ، على ما رواه زيد ودغفل (٢٧) :

أحاديث عن عاد وجرهم جمّة يثورها العضان: زيد ودغفل (٢٨)

وقد أضحي هذان الراويان رمز المعرفة عند شعراء لاحقين نحو أبي تمام الذي يقول
في تعبير تصويري مادحاً مالك بن طوق :

أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلماً وكيّسها علماً ودغفلها (٢٩)

ومن يدري فلعل صنيع القطامي أحد أسباب شهرة زيد ودغفل ، أو بالأحرى
تخليدهما وأخذهما هذا البعد الرمزي ، فأصبحا مضرب الأمثال في أدب القرن الرابع
الهجري/العاشر الميلادي (٣٠) .

□ الموت والانسان في شعر القطامي :

وليست حكم القطامي نابعة من ثقافته الدينية والتاريخية فقط ، بل كانت أيضاً
تقظيراً وتكثيفاً لتجربته الشخصية التي أهلته وساعدته على عرض نظراته في الوجود وعلى
كشف رؤيته للمجتمع وتعميق رؤاه . وقد تتسم أحياناً بعض أقواله بالبداهة ان لم أقل
السذاجة . وكأنه كان يرى أن التذكير بالبديهيّات ضروري للذي ينساها أو يتناساها .
وقد احتل الموت في شعره مكاناً مهماً بشكل خاص . ولا بد من التذكير بأن الشعراء الغنائيين
حافل بهذا الضرب من المواضيع (٣١) ، وقد كان لشعرائنا العرب حكم وأمثال كثيرة في
هذا الميدان نحو زهير (رأيت المنايا ٠٠) وطرفة (لممرك ان الموت ٠٠) في الجاهلية ،
والأخطل (٣٢) وشعراء الخوارج (٣٣) في الفترة الأموية . ومما يلفت الانتباه عند القطامي ،
هو الحاحه على هذا الضرب : فيستحوذ موضوع الموت ويزداد كلامه عليه مع الزمن
ومع تقدمه في السن وشيخوخته وقد عرض مفهومه الفلسفي عرضاً مفصلاً - على نحو
يذكرنا بمونتين (١٥٣٢ - ١٥٩٢) (٣٤) ، في قصيدته الثقافية ، فيبين أن الموت لا مفر
منه . ومهما حاول المرء أن يتناساه بمباهج الحياة وملذاتها المختلفة ، فلا طائل من وراء
ذلك ولا جدوى لأن كل ما في الحياة عابر زائل :

وأرى المعيشة انما هي ساعة فرح" ، وساعة كربة وتحنق (٣٥)

وان تقلب الحياة وهشاشة العلائق الانسانية على الأرض والدور المخرب للدهر يجعله يلاحظ أن كل شيء آيل الى تغيير :

ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ، ولا ذو خلة يصل (٣٦)

وعندما يريد أن يظهر قوة الموت المنتصرة دائماً فانه يشحن حكمه بالصور المستوحاة من قاموس القنص والصيد :

وأرى المنية للرجال حبالا شركاً يصاد به لمن لم يعلق (٣٧)

ويلج القطامي على الاشارة الى الرعب الذي تثيره الشعائر المأتمية ، وكأن القطامي أحس أن مشهد الجنازة « أشد هولاً من الموت ذاته » ، وهذا شأن كثير من الكتاب والشعراء اللاحقين كما يذكر ادغار موران في كتابه **الانسان والموت (٣٨)** . والقطامي يسوق ذلك بعفوية تفسيرية مفسرة :

وما للفتى مال اذا مر نعشه على عمد فوق المناكب يحمل (٣٩)

ويستنبط الشاعر ، من هذه الأوصاف والتلميحات دروساً أخلاقية ، فما نراه عادة دون أن نبالي به يفجره القطامي ببعد نظره أو بالأحرى بحكمته يستنتج منه فلسفة خاصة ، ومثل ذلك سيصنع وورد سوورث Wordsworth الشاعر الانكليزي (ت ١٨٥٠) في محاولة كشف أشياء أخرى مما نراه يومياً وإخراج رؤيته الفلسفية في الانسان والحياة والمجتمع ، في القصائد التي ينشدها وتأخذ أحياناً بعداً تعليمياً . والقطامي عندما يصف قافلة الموت فانه ينهنا الى هذه المسألة : لماذا يكون المرء شحيحاً ويكدس الثروات اذا كان الموت يجبره على التخلي عن كل شيء ؟ ومن المفارقات أن تكون الحياة الحقيقية في الموت نفسه :

والعيش لا عيش الا ما تقر به عين ، ولا حال الا سوف تنتقل (٤٠)

ولربما كان تصدي القطامي لموضوع الموت ، من خلال حكمته الروحية ، فتكلم عليه لا على أنه حيّزٌ موحش خرب يمثل العدمية بل على أنه مكان للاستقرار والسكون ، ومع ذلك فلم يشر الشاعر الى ما سيجري مع الانسان بعد الموت ، فهو لم يلمح البتة الى الجنة والنار وكان ذلك ليس شأنه ، والعل مثل هذه المفاهيم ستأخذ مداها عند شعراء الفرق الدينية وفي العصر العباسي .

ولئن اتسمت رؤية القطامي للموت بمسحة استحواذية وجبرية ، فان رؤيته للانسان انطبعت - في أحيان كثيرة - بالتشاؤم الظاهر (٤١) ، وقد يفسر ميله الى النظر في الأشياء نظرة « سوداوية » الى كثرة تجاربه مع الناس والى المعيشة الصعبة التي كان البدو في تلك الفترة يعانونها أو ببساطة الى كونه كان أسيراً بعد معركة مرج راهط (سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤ م) وبالضبط في أثناء حرب ماكسين بين تغلب وقيس قرب نهر الخابور (سنة ٦٦ هـ / ٦٨٥ م أو ٦٩ هـ / ٦٨٩ م) (٤٢) .

وبما أن القطامي عرف السراء والضراء وعرك الدهر وحلب أشطره فقد تسنى له أن يصف عقلية الرجال ونفسياتهم ، وأن يعرض تصوره للحياة اليومية ، يستشف من هذا الوصف قضايا على جانب كبير من الخطورة ، فهو يتجاوز الوصف السطحي لينفذ الى أعماق اللوحة الانسانية :

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي. ولأم المخطيء الهبل (٤٣)

ألا يصفق المرء في آخر القرن العشرين وفي شتى أنحاء المعمورة للذين استطاعوا - بطريقة ما - الوصول والنجاح ويتقرب منهم ويتزلف اليهم ؟ ألا نقول في المخطيء - بكل بساطة وسذاجة - انه « يستأهل » ؟! وبما أن ذلك كذلك ، فان القطامي يأخذ بيدنا يعلمنا فن الحياة مع الآخرين ويدرسنا السلوك الأقوم . ويطرح الشاعر أفكاره ورؤاه ، مغنياً البعد الفلسفي بالصور البيانية المستوحاة من وسطه الاجتماعي والثقافي البدوي .

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| ١ - أمور لو تدبرها حليم | اذن لنهى وهيب ما استطاعا |
| ٢ - ولكن الأديم اذا تفرئ | بلى وتعيناً غلب الصناعا |
| ٣ - ومعضية الشفيق عليك مما | يزيدك مرة منه استماعا |
| ٤ - وخير الأمر ما استقبلت منه | وليس بأن تتبعه اتباعا |
| ٥ - كذاك وما رأيت الناس الا | الى ما جر غاويهم سراعا |
| ٦ - تراهم يغمزون من استركوا | ويجتنبون من صدق المصاعا (٤٤) |

ويمكن تلخيص الأبيات السابقة حتى نفهمها بالمعادلات الحديثة بالشكلين على الصفحة التالية :

والبعض ما ينشده القطامي من أمثال وحكم صدى عند شعراء وكتاب آخرين ، كالبيت الرابع من العينية ، الذي ذكرناه آنفاً ، والذي يلمح الى القول المعروف : من أضاع أوائل أمره أضاع أواخره كقول الشاعر :

إذا ضيعت أول كل أمر أبت أعجازه الا التواء (٤٥)

كما أن الشاعر الفرنسي لافونتين (١٦٢١ - ١٦٩٥) ، الذي كان للأدب العربي عامة ولكتاب كليله ودمنة خاصة أثره الواضح في نتاجه ، يلمح الى فحوى البيت السادس في (حكاياته وأمثاله) ولا سيما الحكاية السادسة (الذئب والحمل) بالحاء (٤٦) .

ولن نقف طويلاً عند أمثال هذه الموازنات والمقارنات مع أنها تتسم بالطرافة ، وهي باب خصب للدراسة والطريق اليها لاجب لمن أراد المزيد والتعمق .

ومع أن للشاعر مواقف حرجة في الحياة تدعوه الى التشاؤم من النظم الاجتماعية القائمة ، فان ذلك لا يدفعه الى الاستسلام والقنوط . فعلى النقيض ، نراه ينصح الناس ، بلا كلل ويرشدهم الى أفضل السبل والى الموقف الأحسن في التصرف ، منوهاً بالشرف الانساني والألفة :

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه يعنف وينكره الذي كان يعرف (٤٧)

وهو الى ذلك واستناداً الى العقلية العقلانية التي يتمتع بها يرسم ملامح السلوك الأمثل ، فلا تكفي العجلة وحدها للوصول الى الغرض المقصود بل لا بد من خطة واعية ودقيقة ، ومن تأمل عميق في الأشياء على نحو يذكرنا أيضاً بلافونتين والحكاية العاشرة (الأرنب والسلحفاة) ، كما أن أصدق الأصدقاء هو ذاك الذي يمد لك يد العون عند الضرورة ناسياً كل العزازات :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل (٤٨)

أخوك الذي لا تملك الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف (٤٩)

وبعد ، اذا كانت هناك أوجه كثيرة من الحياة الانسانية والطبيعية تبعث على التشاؤم فكيف نتصرف ؟ يحث القطامي على الدأب والصلابة وأن تكون وجهة الثبات والحركة نحو الكائن (أي المثل العليا والقيم الأخلاقية) لا نحو الملكية (أي الغنى المادي والجشع) :

أرى البأس أدنى للرشاد وانما دنا العي للانسان من حيث يطمع

فدع أكثر الأطماع عنك فانها تضر، وان البأس لا زال ينفع (٥٠)

ولا يكتفي القطامي باعطاء دروس في الحياة العامة . فهو يفيد من فلسفته في عدد من القضايا الخاصة واليومية ، فأضحت عنده طريقة أو أداة ناجعة في الافحام : فمثلا لكي يقنع احدي القبائل (وهي قضاة) بالانضمام الى قبيلته ، فانه يذكرهما بنسبهما المشترك ، فينشد بأسلوب حكمي :

ومن ينزع أرومته لأخرى فذاك لثابت الأصل اعتقار (٥١)

وخلاصة القول ان أمثال القطامي وحكمته تعبر عن أخلاقه وتستجيب الحاجات المجتمع العربي ، ولا سيما المجتمع البدوي في تلك الفترة . فما طرحه ليس غريباً عليهم غير مفهوم ، ومن هنا فآدبه الحكمي لم يك نظريات فلسفية مفصلة مطولة ، انها نظرات فلسفية أصيلة مؤلفة من جمل موجزة تعكس عصارة الفكر الانساني ومصوغة في أبيات سائرة . وقد كان لاصور البيانية التي واكبت أمثاله ولكلماتها العفوية ونغمها الايقاعي وتعايرها المقتضية ولعمقها ونفاذها أكبر الأثر في شهرتها وسهولة حفظها و « عندما تجتمع المهبتان ، المهبة الحكمية والقريحة الشعرية في الرجل ذاته ، فاننا نكون أمام شاعر كبير » (٥٢) .

ومع أن شعراء آخرين سابقين له قد طرقتوا بعض حكمه ، فاننا نعتقد أن أسلوب القطامي قد طبعها بسمه جديدة ، فأعطاهها نفساً خاصاً وروحاً جديدة متجددة ، ولذا فلا نستغرب اذا

كان لحكمه مكان رفيع في الشعر العربي فتبعه كثير من الشعراء ، وأصبح كثير مما يعرض مضرب الأمثال ، فذهبت بعض القصص التي رواها القطامي مثلاً نحو قوله في آخر قصة عجوز بني محارب حدد فيها الزمان والمكان ووفر لها المقدمة والعقدة ليخلص الى الحل الذي ارتآه (ولا نعرض لسرده القصصي هنا لكون ذلك ليس موضوع بحثنا) :

ألا انما نيران قيس اذا شتوا لطارق ليل مثل نار الجاحب(٥٣)

فاستشهد بصنيعه عبد الصمد بن المعدل (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) الذي ينشد في هجاء أخيه أحمد :

ليت لي منك يا أخي جارة من محارب
نارها كل شتوة مثل نار الجاحب(٥٤)

كما سار كثير من الشعراء على نهجه فقلدوه وحذوا حذوه(٥٥) وأثارت حكمه اهتمام كتاب العصور التالية وكأنها أضحت شغلهم الشاغل كابن رشيقي والعباسي وغيرهما (٥٦) .

وبعد مضي ثلاثة عشر قرناً من تطور الفكر الانساني واللغة فان كثيراً مما تمثل به القطامي ما زال ينبض بالحياة والديمومة والواقعية ، فقد كانت فلسفته مع تشربها بالطابع البدوي رسالة انسانية ودرسا في الحياة ، فلم يحدها زمان ولا مكان ، وبذا فانتماء القطامي - هذا الشاعر الذي نجهله أو نتجاهله - ليس لشعب وحده بل يتجاوز ذلك

فهو ليس فقط - وكفاه ذاك فخراً - شاعر الحكمة والسلم في العصر الأموي بل ان أمثلة كثيرة من شعره يمكن أن تقارن بشعراء آخرين نحو لافونتين(٥٥) ومونتيني وغيرهما .

أخيراً ، ألا يحق لنا القول بأن فن خلق الأبيات السائرة جعل من القطامي شاعراً انسانياً وأن فلسفته الأخلاقية المتمتزة بنبعته الشعرية التي وفرت لنا اللذة - لتؤلف كلا واحداً لا يتجزأ قابلة لأن تثير اهتمام الشرق والغرب معاً ؟

• نزيه كسيبي
جامعة استراسبورغ

الهوامش : □

١ - أمل ان تتاح لنا الفرصة للكلام على القطامي (بفهم القاف ويجوز فتحها) نفسه والبعد الفني والجمالي في شعره . وهو - بايجاز - عمير بن شبيب شاعر تغلبي اي من قبلة الاخطل ، ولكنه ليس ابن اخته كما تذكر بعض كتب تاريخ الادب ، وقد عاش في عهد الأمويين (توفي نحو ١٠١ هـ / ٧١٩ م) ، وكان يقطن في الجزيرة السوديّة قرب نهر الخابور . ولزيد من الاطلاع انظر اطروحتنا لنيل شهادة الدكتوراة :

NJSSAIBI, Nazin, Un poète arabe de l'époque omayyade : AL-QUTAMI et Son oeuvre,, Thèse de doctorat du 3ème Lycie, Strasbourg, 1983, 300 P. t. 2 ill.

(نسخة منها في المكتبة الوطنية ومعهد الدراسات الشرقية في باريس وكذا الأمر في ستراسبورغ)

2 — T. S. Eliot, On Poetry and Poet, New York 1957, P. 6.

٣ - راجع مقال الدكتور مازن الوعر ، الأبعاد الشعرية واللغوية والفلسفية لرسالة الغفران ، مجلة التراث ، العدد الرابع ، ١٩٨١ - ص ١٢٢ وما بعدها .

4 — Brockelmann, art. Matal, in EI², IV 643, Col. 1.

5 — Ahmed Deif, Essai sur l'alyrisme et la critique littéraire chez les arabes, Paris, 1917. PP. 10-11. 21-22.

وراجع مقال لدكتور شكري فيصل ، شعر الحكم والأمثال في الديوان العربي ، ايضاح ودفاع ، مجلة التراث ، العدد الرابع ، ١٩٨١ ، ص ١٧٩ .

٦ - انظر شهاب الدين أحمد بن عبد ربه ، العقد الفريد، ثلاثة اجزاء ، ط بولاق ، ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .

٧ - ابن رشيح العمدة ، ط ٤ ، بيروت ، دار الجليل ، ١٩٧٢ ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

8 — Ct. G. JEAN, La Poésie, Paris, Seai, 1966, P. 37.

٩ - شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، تج فريتاغ ، بن ، ١٨٢٨ ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ط بولاق ، ١٨٧١ ، ج ١ ص ١٨١

١٠ - هناك طبعان للديوان ، ط ١ ، تج . يعقوب برت ، ليدن ، بريل ، ١٤٠٢ ط ٢ ، تج د . أحمد مطلوب و د . ابراهيم السامرائي ، بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٠ .

وعندما نستشهد بشعر القطامي فاننا سنورد المصنوعي الطبعين بادئين كل مرة بطبعة ليدن منبهين الى رقم القصيدة (ق) والبيت (ب) والصفحة (ص) راجع راينا 'لوجز في الطبعين في مقالنا : على هامش الندوة الاستشرافية المنعقدة في ستراسبورغ ، المعرفة ، عدد ٢٢٧ ، كانون لثاني ١٩٨١ ، ص ٢١٥ . وقد قمنا ببحث مفصل فيهما بالفرنسية سينشر في مجلة ARABICA .

١١ - وقد اثبتنا ذلك في دراستنا النصية التاريخية التطورية (Jiachronique) والوصفية الآنية (Synchronique) لشعر القطامي ، وقد خالفنا بذلك صاحب مقال القطامي في الموسوعة الاسلامية الطبعة الثانية (EI², Vol. 5, P. 545) البروفسور شارل بلا والذي تفضل بالمشاركة في مناقشة اطروحتنا (راجع ص ٤١ وما بعدها من الاطروحة ، وانظر في الاغانى ج ٢٣ ، ص ١٧٥ ، معاهد التنصيص للعباسي ، ج ١ ، ص ٦٤ ، الخزائن ، طبع بولاق ، ج ١ ص ٣٩٣ .

١٢ - راجع سفر التكوين ، الاصحابين السادس والعاشر .

١٣ - القرآن سورة هود ، الآيات ٢٥ - ٤٩ ، سورة المؤمنون ، الآيات ٢٣ - ٢٩ ، سورة نوح .

١٤ - ديوان القطامي ، ق ٣٩ ، ب ٤٣ ، ص ٨٤ ط ليدن/ ق ٢٢ ، ص ٤١٣ ط بيروت .

١٥ - ديوان القطامي ، ق ٣٩ ، ب ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ص ٨٤/ ق ٢٢ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ . وراجع سفر الخروج ، الاصحاب الرابع عشر ١ - ٣٠ ، القرآن ، سورة الاعراف ، الآية ١٠٣ وما بعدها . ولزيد من التفصيل راجع ديوان القطامي (ق ٢٣ ، الآيات ٢١ و ٢٦ ، ص ٧٠/ ١٢ ، ص ١٠٠) .

١٦ - ديوان ، ب ٥١ ، ص ٨٥/ ص ١٤٤ .

١٧ - اي سودانهم ، ديوان ، ط بيروت ، ص ١٢٧ .

١٨ - ديوان ، ق ١٩ ، ب ١٢ ، ص ٦٠ / ق ١٩ ، ص ١٢٥ .

١٩ - البشر : مرتفعات تمتد من عرض يضم العين قرب تدمر الى الفرات ، والرحوب اسم بئر في منطقة جبل البشر ، انظر ياقوت ج ١ ، ص ٤٣٦ ، والبكري ، ص ٤٠٢ .

٢٠ - زفر بن الحارث الكلابي (توفي نحو ٧٥ هـ ، ٦٩٥ م) زعيم قيس ، شهد صفين مع معاوية ومرج راهط ، وكانت وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان في قرقيسيا عند مصب نهر الخابور في الفرات (راجع الاعلام ، ج ٣ ص ٧٨) .

٢١- مؤتمر العواية : من يامر بالغى والضلال اي كان شرائطه .

٢٢- ابنا نزار : ربيعة ومضر .

٢٣- الثلعة : مسيل الماء من مكان مشرف الى الوادي ، انظر الديوان ق ١٣ ، الأبيات ١ - ٢ - ٤ - ٦ ، ص ٢٧/٢ ، ص ٣١ - ٣٣ .

٢٤ - ديوان ، ق ٢٩ ، ب ٣٩ ، ص ٨٤/٨٤ ، ص ١٤٣ .

٢٥ - عاد : شعب من العرب البائدة .

٢٦ - جرهم : قبيلة عربية قديمة ، قيل انها جاءت من اليمن ، ثم هاجرت الى مكة .

٢٧ - زيد بن الكيس النمري (بفتح الميم) ودغفل بن حنظلة بن زيد الذهلي الشيباني (ت ٦٥ هـ / ٦٨٥ م)
وقد كانا مشهورين بأخبار العرب وأنسابها وانظر ديوان ص ٣١/٣٦ ، الإعلام ، ج ٣ ، ص ١٨-١٩ .

٢٨ - يثورها : يحكيها وينشرها . العضان واحد العض وهو الداهي (انظر الديوان ق ١١ ، ب ٤ . ص ٣١ /
ق ٦ ، ص ٦٧) .

٢٩ - شرح ديوان ابي تمام للتبريزي ، تج محمد عبده عزام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ، ج ٣ ، ص ١١٥ . ولا بد من التنويه بأن اسم دغفل (بفتح الدال) قد دون بضمها في مخطوطة المكتبة الوطنية باستراسبورغ (ديوان ابي تمام ، خلف الورقة ٧١ ، رقم المخطوط ٤١٨٣) .

٣٠ - اشار الى مثل ذلك شاعر معاصر للقطامي وهومسكين بن عامر الدارمي (بكر الرء) توفي في سنة ٨٩ هـ /
٧٠٨ م) :

فحكمت دغفلا وارحلت اليه ولا تدع المطي من الكلال

وكذا فعل الكميت ، راجع (ياقوت ، ارشاد الأديب المعروف بمعجم الأديباء وطبقات الأديباء ، تحقيق د.
س . مرجليوث ، مطبعة هندية بالموسكي بمصر ، ١٩١٣ ج ٦ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

31 — M. Abdesslem, Le Thème de la mort dans la poésie arabe, Tunis, P.U.T, 1977, P. 200.

٣٢ - ديوان الاخطل ، ص ٥٥ ، السطران ٤ - ٥ .

٣٣ - راجع ما قاله الشاعر الغارجي محمد بن بشير في الحماسة ، ط . بن ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

34 — Cf. E. Lablénie, Montaigne auteur des Maximes, Paris, SEES, P. 13 sq.

٣٥ - ديوان ، ق ١٢ ، ب ٣٦ ، ص ٣٦/٣٦ ، ص ١١١ .

٣٦ - به : يعني الدهر . البشاشة : اللذة والسرور . الخلة : الصداقة أراد ولاذو خلة يدوم وصاله (الديوان ،
ق ١ ، ب ٦ ، من ٢/٢ ، ص ٢٤) .

٣٧ - الحباله ج حبال : المصيدة . الشرك : حباله الصيد (ديوان ، ق ١٢ ، ب ٣٧ ، ص ٣٦/٣٦ ، ص ١١١) .

38 — Edgar Morin, l'Homme et la Mort, Paris, Seuil, 1970, P. 35.

٣٩ - العماد ج عمد : خشبة تقوم عليها الخيمة وكل مارع شيئا وحمله (ديوان ق ١١ ، ب ٣ - ص ٣١/٣١ ، ص ٥ ،
ص ٦٧) .

٤٠ - ديوان ، ق ١ ، ب ٧ ، ص ٢/٢ ، ص ٢٤ . ويقول شارح الديوان (ط . ليدن . ص ٢) : المعنى لا عيش الا
عيش الآخرة . قر - يقر (بفتح القاف وكسرهما) اليوم . بردت عينه : بردت سرورا وجف دمعها ، رات
ما كانت متشوقة اليه ، فهو قرير العين .

٤١ - يبدو الشاعر أحيانا متفاداً من ذلك قوله (ديوان ، ب ٢٨ ، ص ٤٠ / ص ٣٥) :

تعلم ان بعد الغي رشداً وان لهذه الغم انقشاعاً

٤٢ - انظر اطروحتنا ص (٧٠) وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٢٩ ، عمر فروخ ، تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ٥٩٩ .

٤٣ - ديوان ، ب ٨ ، ص ٢ / ص ٢٥ ، الخزاعة ، طبع بولاق ، ج ١ ، ص ١٦٩ . الهبل : الشكل اي فقد الولد .

٤٤ - ديوان ، ق ١٣ ، الأبيات ٢١ - ٢٦ ، ص ٣٩ - ٤٠ / ق ٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، خزاعة ، ط بولاق ، ج ١ ، ص ٣٩٢ ، ط ط أحمد تيمور والميني ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

تفسير الكلمات : هيب الشيء الى فلان : جعله مهيباً عنده . تفرى : تشقق . بلى : بلى الثوب : رث .
التمين : ان يكون في البلد مواضع (مثل العيون) تهيات للمفرق . الصناع : الحاذقة بعمل اليدين . وقوله :
« وخير الأمور ما استقبلت » اي خير الأمور ما قد تدبرت اولها فانتهاز الفرصة فيها ما دامت ممكنة ، يغمزون :
يفضيون . استركوا : استضعفوا والمصاع بكسر الميم : المجادلة بالسيوف .

٤٥ - نظم اللال في الحكم والأمثال ، جمع عبدالله فكري ، شرح عبدالمعين الملوحي ، مجلة التراث ، عدد ٤ ، ١٩٨١ ،
البيت ٥١ ، ص ٨١ .

46 — La Fontaine, Les Fables, anronologie et introduction par A. Adam, Paris, Garnier
— Flammarion, 1906, P. 55, f. 13; Fable X, f. 59, f. 1.

٤٧ - اي يعمل الناس على عيبه (الديوان ، ب ، ص ١٠ / ص ١٥٧) .
* — La Fontaine, op. cit, p. 165.

٤٨ - تانى واستانى في الأمر وبه : تنظر وتفرق (الديوان ب ٩ ، ص ٢ / ص ٢٥ ، الخزاعة ، ط بولاق ، ج ١ ص ١٦٦) .

٤٩ - احس لك اي أرق لك . المحفظات : المغضبات . الكثائف ج كتيفة : الحقد والعداوة . اي اذا نزل بك أمر
يحفظ اي يقضب لم يملك نفسه ان ينصرف ولم يلتفت الى الحقد والعداوة (ديوان ، ق ٥ ، ب ٢٥ ، ص ٢٧ /
ق ٤ ص ٥٥ ، الحماسة ، طبع بولاق ، ج ١ ، ص ١٨٢) .

٥٠ - ذيل ديوان القطامي ، طبعة بيروت ، رقم ٣٥ ، البيت ١١ - ٢ ، ص ١٧٨ نقلاً عن شيخو ، في مجلة المشرق ، بيروت ،
عدد ١٩٢٥/٢٣ ، ص ٣٦ . لباس : الشدة والشجاعة . العي : ذو العي الكال العاجز . وتروى الكلمتان على
هذا النحو (الناس بالنون - القي بالعين المعجمة) في الحماسة البصرية تح مختار الدين أحمد ، حيدر آباد
الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٤ ، ج ٢ ، ص ٢٨ . ولزيد من الاطلاع على أبيات أخرى بهذا المعنى
راجع الديوان ، ق ١ ، ب ٣٣ ، ص ٦ / ق ١ ، ص ٢٩ .

٥١ - الأرومة : اصل الشجرة واستعملت للحسب (بالسین المهملة) ، ويقال هو طيب الأرومة : كريم الأصل .
الاعتقار : اعتقر ظهر الدابة من الرجل اي دبر وجرح او انقطعت قوائمها (ديوان ، ق ٢٩ ، ب ٨١ ، ص ٨٧

/ ق ٢٢ ، ب ٧٩ ، ص ١٤٧) .

52 — T. S. Eliot, op. cit, p. 240.

٥٣ - ويروى اشتوا - الجاحب : هناك شروح عديدة للكلمة منها ان هذه النار تفرج من تحت حوافر الدواب
او انها اسم اليراع الذي يقضي ضوءاً خافتاً او اسم رجل بخيل كان يشعل ناره على نحو لا يراها الآخرون
(ديوان ، ق ١٥ ، ب ٤٠ ، ص ٥٤ / ق ٣ ، ص ٥٠) .

٥٤ - الحصري ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ ، العباسي ، ص ٦٥ ، الشريشي ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

٥٥- قارن حكمه في الديوان (ب ٢٥ ص ٢٧/ص ٥٥) مع عويف القوافي (توفي حوالي ١٠٠ هـ / ٧١٨) الفزاري،
انظر الحماسة ج ١ ، ص ٨٢ ، الأغاني ، ج ٢٣ ، ص ١٨٠ - ١٨١ . ومع المتنبي انظر بلاشير ،

Un Poète arabe du 4ème siècle de l'Hegire : Abû t-Tayyib al Mutanabbî, Paris, 1935, P. 120.

وراجع ديوان المتنبي ، شرح الواحدي ، تج . F. Pieterici برلين ، ١٨٦١ ، ق ٤٨ ، ب ١ - ٢ ، ص

١١٦ ، ديوان القطامي (ب ٣٦ ، ص ٣٦/ص ١١١) ،
انظر اطروحتنا ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، ٢٢٧ .

٥٦- العمدة ، ج ١ ، ص ٢٨٤ ، معاهد التنصيص ، ج ١ ، ص ٦٥ ، الخزانة ، ج ١ ، ص ١٧٦ ، ديوان المعاني ، ج ١ ،
ص ١٢٤ .

55 — La Fontaine, op. cit., VI, P. 55, f. 5; X, P. 59, f. 1; J. Pineaux, Proverbes et Jictons français,
7ème éd. Vendôme, P.U.F., 1979 (Coll. Que suis-je ? 766), P. 91.



□ ثبت المراجع :

- ١ - ابن الأثير ، عز الدين ، كتاب التاريخ الكامل ، ١٢ مجلدا ، بولاق ، ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٤ م .
- ٢ - ابن رشيق الحسن القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ، تج محيي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، جزءان ، بيروت ،
دار الجيل ، ١٩٧٢ .
- ٣ - ابن عبد ربه ، احمد ، العقد الفريد ، ثلاثة أجزاء ، بولاق ، ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م .
- ٤ - الأخطل ، غياث بن غوث ، ديوان ، تج انطون صالحاني ، بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٠ - ١٩٠٩ .
- ٥ - الاصفهاني ، علي بن الحسين ، الأغاني ، ط ثانية ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٥٧ - ١٩٦٤ .
- ٦ - البغدادي . عبد القادر بن عمر ، خزنة الادب ، أربعة أجزاء ، بولاق ، ١٨٨٢ ، طبعة أخرى تحقيق احمد تيمور
وعبد العزيز الميمني الراجكوتي ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٣٤ .
- ٧ - البكري ، عبدالله أبو عبيد ، معجم ما استعجم ، تج . فرديناند ويستنفلد F. Wüstenfeld جزءان ، جوتنجن
باريس ، ١٨٧٧ .
- ٨ - بلاشير ، ريجيس ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني ، ثلاثة أجزاء ، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ .
- ٩ - التبريزي ، يحيى بن علي ، شرح ديوان ابي تمام ، تج محمد عبده عزام ، أربعة أجزاء ، القاهرة ، دار المعارف ،
١٩٦٤ - ١٩٦٥ ، مخطوطة ديوان ابي تمام رقم ٤٢٨٢ في المكتبة الوطنية والجامعية في استراسبورغ
(B.N.U.S, Arabe 102) ١٤٩ ورقة .
- ١٠- التبريزي ، شرح كتاب أشعار الحماسة لابي تمام ، ط فريتاغ G. G. Freytag ، بون ، ١٨٢٨ ، ط بولاق ،
أربعة أجزاء ، ١٨٧٩ .
- ١١- الحصري ، ابراهيم بن علي القيرواني ، زهر الادب، بهامش العقد الفريد ، ٣ أجزاء ، ١٨٧٦ .
- ١٢- الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، طبعة ثانية ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ، مطبعة كوستانسوماس ، ١٩٥٥ .

- ١٣- الشريشي ، أحمد ، شرح المقامات الحزبية ، جزءان ، بولاق ، ١٨٦٧ .
- ١٤- شيخو ، لويس ، شعراء النصرانية بعد الاسلام : القطامي ، المشرق ، بيروت ، عدد ١ ، مجلد ٢٣ ، ١٩٢٥ ، ص ٢٤ - ٣٦ .
- ١٥- العباسي عبدالرحمن بن عبد الرحيم ، معاهدالتنصيص في شرح شواهد التلخيص ، جزءان ، بولاق ، ١٣١٦ هـ / ١٨٩٩ م .
- ١٦- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله ، ديوان المعاني ، جزءان ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٦٣٣ .
- ١٧- فروخ ، عمر ، تاريخ الادب العربي ، الادب القديم من مطلع الجاهلية الى سقوط الدولة الاموية ، ط ثانية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٩ .
- ١٨- القطامي ، عمير بن شبيب ، ديوان ، تج . يعقوب برت ، لندن ، بريل ، ١٩٠٢ XXII + 53 + ٩٢ ص .
- ١٩- القطامي ، عمير بن شبيب ، ديوان ، تج . د . أحمد مطلوب و د . ابراهيم السامرائي ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٠ ، ١٩٦٠ ص .
- ٢٠- كسيبي ، نزيه ، على هامش الندوة الاستشراقية المنعقدة في ستراسبورغ ، المعرفة ، العدد ٢٢٧ ، كانون الثاني ١٩٨١ ، ص ٢١٠ - ٢١٨ .
- ٢١- الملوحي ، عبدالمعين ، نظم الال في الحكم والامثال ، جمع عبدالله فكري ، مجلة التراث ، العدد الرابع آذار ١٩٨١ ، ص ١٨١ - ٢٣٦ .
- ٢٢- ياقوت ، شهاب الدين بن عبدالله ، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٧ - ١٩٦٨ .
- ABDESSELEM, M., Le thème de la mort dans la poésie arabe des origines à la fin du III/IX siècle, Tunis, P.U.T., 1977, 402 p.
- BROCKELMANN, Carl, Art, Matal, In Encyclopédie de l'Islam, 1ère éd., IV, 461-464.
- DEIF, Ahmed, Essai sur le lyrisme et la critique littéraire chez les arabes, Paris, Jouve, 1917, IV + 191 p.
- ELIOT, T.S., On Poetry and Poets, New York, American Book-Statford Press, 1957.
- JEAN, Georges, La Poésie, Paris Seuil, 1966, 206 p.
- KUSSAIBI, Nazih, Un poète arabe de l'époque umayyade, al-Qutâmi, et son oeuvre, Thèse du doctorat du 3ème cycle, dactylographiée, 300 p. + 2 ill.
- LABLENIE, E., Montaigne auteur des maximes, Paris, Société d'éd. et d'enseignement supérieur, 1968, 130p.

★ ★ ★